هل الجملة تقع فاعلا؟

دراسة من خلال نماذج من القرآن الكريم

د. دحمود السالم

أستاذ جامعي، وباحث أكاديمي

حاصل على شهاد الدّكتوراه في اللّغة العربيّة

وآدابها وحضارتها بجامعة سوسه

تونس

مقدّمة:

لا يخفى ما لإعراب الجمل من بالغ الأهمية في فهم اللغة العربية عامة وفي فهم القرآن خاصة، وقد حاولنا في هذا المقال أن نتتبّع جزئيّة تندرج ضمن إعراب الجمل، وهي حول إمكانية وقوع الجملة ا فاعلا. وقد اخترنا أن ندرس هذه المسألة من خلال نماذج من القرآن الكريم.

وقد حاولنا أن نتطرق لأهم النقاط المتعلقة بالعنوان المذكور، وقد اختلف النحاة في جواز وقوع الجملة فاعلا فما هي الخلافات التي وقعت بينهم في المسألة ؟

لكن الخوض في تلك الخلافات يتطلب منا بدءا أن نعرف الجملة الواقعة فاعلا!!

وهل تطرق النحاة لتعريفها أصلا؟ وما هو تعريفها إن كانوا أوردوا لها تعريفا؟ إلى غير ذلك من القضايا المتعلّقة بهذا العنوان.

هذا ما سنحاول الحديث عنه من خلال هذا المقال.

1. تعريف الجملة الواقعة فاعلا وخلاف النحاة حولها:

1.1 تعريفها:

كل المصادر والمراجع التي وقفنا عليها لم تفرد الجملة الواقعة فاعلا بتعريف خاص بها وإنما تعرف الفاعل بأنه اسم أو ما يؤول به وتتناول الجملة الواقعة فاعلا من حيث الخلاف الواقع فيها وإن كان ابن مالك رحمه الله في تعريفه للفاعل في التسهيل قد يفهم منه دخول الجملة الواقعة فاعلا حيث يقول: " هو المسند إليه فعل أو مضمن معناه تام مقدم فارغ غير مصوغ للمفعول". قال في الشرح: الفاعل يكون اسما وغير اسم فلذلك قلت المسند إليه ولم أقل الاسم المسند إليه.[1]

ومع هذا لم يصرح بالجملة الواقعة فاعلا.

أما أبو حيان الأندلسي رحمه الله فيصرح في تعريفه للفاعل بشمولية التعريف – الذي ذكره – للجملة الواقعة فاعلا حيث يقول " هو المفرغ له العامل على جهة وقوعه منه أو تركه " قال معلقا على التعريف " وشمل قولنا "المفرغ له العامل" مذهب البصريين – وهو أن الفاعل لا يأتي إلا اسما إلا مؤولا به– ومذهب الكوفيين –وهو أنه يأتي جملة كما يأتي اسما أو مؤولا به.[2]

وعلى هذا يمكن اعتماد هذا التعريف الذي ذكره أبوحيان كتعريف للجملة الواقعة فاعلا.

---

1 – شرح التسهيل – محمد بن مالك – ت– عبد الرحمن السيد – محمد بدوي مختون – ط – الأولى – 1410 هـ - 1990 م– ج – 2– ص –105 – باختصار.[1]

2 – ارتشاف الضرب من لسان العرب – أبو حيان – ت – رجب عثمان محمد – ط – الأولى – 1418 هـ– 1998م– ص–1320– بتصرف.[2]

2.1 خلاف النحاة حول المسألة:

اختلف النحاة في جواز وقوع الجملة فاعلا فمنهم من منع ذلك ومنهم من أجازه ومنهم من أجازه بشرط.

أ. مذهب من منع وحجتهم:

ذهب المبرد والفارسي وجمهور البصريين إلى أنه لا يجوز أن يكون الفاعل جملة واحتجوا لمذهبهم بعدة حجج نذكر منها:

تأويلهم لما ورد من كلام العرب يوحي أن الجملة تقع فاعلا مثل قول الشاعر:

وما راعني إلا يسير بشرطة وعهدي به قينا يفش بكير

فتأولوه على أن التقدير أن يسير فلما حذفت أن ارتفع الفعل كما في قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضرُ الوغى وأن أشهد االلذات هل أنت مخلدي

في رواية من رفع[3].

ب . مذهب من أجاز وحجتهم:

ذهب هشام وثعلب وجماعة من الكوفيين إلى جواز وقوع الجملة فاعلا واحتجوا لذلك بما جاء من كلام العرب يمكن حمل الجملة فيه على الفاعلية من ذلك قوله تعالى:{ وبدا لهم من بعد ما رأوا الآيت ليسجننه حتى حين }. فأعربوا قوله جل وعلا ليسجننه على أنه فاعل بدا.

كما استدلوا بقول الشاعر:

وما راعني إلا يسير بشرطة ... وعهدي به قينا يفش بكير[4]

ج . مذهب من فصّل:

وذهب الفراء وجماعة إلى أنه إن كانت الجملة معمولة لفعل من أفعال القلوب معلقا عنها جاز أن تقع في موضع الفاعل أو المفعول الذي لم يسم فاعله وإلا فلا ونسب هذا لسيبويه ومثلوا لذلك بنحو: "ظهر لي أقام زيد، وعلم هل قعد عمرو،"[5]

قال ابن هشام معلقا وفيه نظر لأن أداة التعليق بأن تكون مانعة أشبه من أن تكون مجوزة وكيف يعلق الفعل عما هو منه كالجزء. وبعد فعندي أن المسألة صحيحة ولكن مع الاستفهام خاصة دون سائر المعلقات وعلى أن الإسناد إلى مضاف محذوف لا إلى الجملة ألا ترى أن المعنى ظهر لي "جواب" أقام زيد أي: جواب قول القائل ذلك.[6]

ومعظم النحاة ذهبوا إلى المذهب الأول وهو المنع مطلقا وقد رجحه وصححه جملة من العلماء نذكر منهم أبو حيان فقد قال : "قال أصحابنا والصحيح المنع مطلقا"[7]

---

3 – التذييل والتكميل في شرح التسهيل – أبو حيان الأندلسي – ت– حسن هنداوي – دار القلم– ط– الأولى– 1419هـ– 1998م– ج–1– ص–55–56– بتصرف.[3]

4 – التذييل والتكميل المصدر السابق والصفحتين.[4]

5 – شرح مغني اللبيب – عبد اللطيف محمد الخطيب– ط– الأولى الكويت– 1421هـ– 2000م– ج– 5– ص– 117.[5]

6 – شرح مغني اللبيب– المرجع السابق – ص– 117– 118 .[6]

7 – البحر المحيط في التفسير –أبو حيان الأندلسي– ت– صدقي محمد جميل– دار الفكر بيروت– دون تاريخ– ج–1–ص– 78.[7]

وقال السيوطي: والصحيح أن الجملة لا تقع موقع الفاعل أو المفعول الذي لم يسم فاعله إلا إن اقترن بها ما يصيرها وإياه في تقدير المفرد.[8]

وقال صاحب النحو الوافي بعد أن ذكر الخلاف المذكور: " وبهذه المناسبة نشير إلى أن الراجح الذي يلزمنا اتباعه اليوم يرفض أن تقع الجملة الفعلية أو الاسمية فاعلا..... وهذا الرأي أكثر مسايرة للأصول اللغوية وأبعد من التشتيت والتفريق وآثارهما السيئة في الإبانة والتعبير".[9]

2 نماذج من الجملة الواقعة فاعلا في القرآن الكريم وأوجه إعرابها

1.2 إعرابها بالفاعلية:

قال تعالى:{إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} [10]. قال أبو حيان إذا كان لقوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم محل من الإعراب فيحتمل أن يكون سواء خبر إن والجملة في موضع رفع على الفاعلية .... وفي كون الجملة تقع فاعلا خلاف.[11]

وقال تعالى:{ ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيت ليسجننه حتى حين}[12] قال الكوفيون الجملة فاعل.[13]

وقال جَلّ من قائل:{ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وربنا لكم الأمثال}[14] فجملة كيف فعلنا بهم أعربت على أنها فاعل لقوله تعالى تبين.

وقال تعالى: { أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم }[15] قال بعض النحاة "كم" فاعل.[16]

وقال تعالى:{ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك ءلايت أفلا يسمعون }[17] من قال إن الجملة تقع فاعلا جعل قوله تعالى كم أهلكنا فاعلا،[18] وقال الفراء: كم في موضع رفع بـ(يهد).[19]

2.2 أوجهٌ أخرى من الإعراب:

قوله تعالى :{ سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون}. قال محمد بن يزيد سواء عليهم رفع بالابتداء أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر والجملة خبر إن.[20]

– أأنذرتهم همزة الاستفهام معنى التسوية هي والفعل بعدها بتأويل مصدر مبتدأ مؤخر[21].

---

8 – الأشباه والنظائر – جلال الدين السيوطي – دار الكتب العلمية– دون تاريخ– ج–2–ص–27.[8]

9 – النحو الوافي –عباس حسن– ط– الثالثة– دار المعارف –دون تاريخ– ج– 2– ص– 66–67– باختصار.[9]

10– البقرة – 6.[10]

11 – البحر المحيط في التفسير –أبو حيان الأندلسي– ت– صدقي محمد جميل– دار الفكر بيروت– دون تاريخ– ج–1–ص– 77.[11]

12 – يوسف – 35.[12]

13 – شرح مغني اللبيب – عبد اللطيف محمد الخطيب– ط– الأولى الكويت– 1421هـ– 2000م– ج– 5– ص– 115[13]

14 – إبراهيم – 45.[14]

15 – طه – 128.[15]

16 – إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس– دارالكتب العلمية– بيروت– دون تاريخ– ج– 3–ص– 42.[16]

17 – السجدة – 26.[17]

18 – شرح مغني اللبيب – عبد اللطيف محمد الخطيب– ط– الأولى الكويت– 1421هـ– 2000م– ج– 5– ص– .118[18]

19 – معاني القرآن – الفراء– ت: النجاتي/النجار/الشلبي– دون تاريخ–ج–2–ص–33.[19]

20 – إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس– دارالكتب العلمية– بيروت– دون تاريخ– ج– 1–ص– 27.[20]

21 – إعراب القرآن وبيانه– محي الدين بن أحمد مصطفى درويش– دار الإرشاد– سوريا– دون تاريخ– ط– الرابعة– ج–1–ص–28.[21]

– ويحتمل أن يكون قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم مبتدأ وخبر إذا كانت جملة اعتراض وتكون في موضع خبر إن.[22]

قوله تعالى :{ ثم بدا لهم من بعدما رأوا اءلايت ليسجننه حتى حين}

في فاعل بدا ثلاثة أوجه:

– أحدها: هو محذوف وليسجننه قائم مقامه أي بدا لهم السجن فحذف وأقيمت الجملة مقامه وليست الجملة لأن الجملة لا تكون ذلك.

– الثاني: أن الفاعل مضمر وهو مصدر بدا فأضمر.

– الثالث: أن الفاعل ما دل عليه الكلام أي بدا لهم رأي أي فأمر أيا وحتى متعلقة بـ(ليسجننه).[23]

وقال أبو حيان: الفاعل لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى أي بدا لهم هو أي رأي أو بداء.... والذي أذهب إليه أن الفاعل ضمير يعود إلى السجن المفهوم من قوله ليسجننه.[24]

قوله تعالى :{ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وربنا لكم الأمثال} تبين عطف على ما تقدم والفاعل مقدر على منطوق الجملة أي حالهم وذلك بالإخبار والمشاهدة ولكم متعلق بتبين وكيف مفعول مطلق أي أيّ فعل فعلنا بهم ولك أن تعربها حالا ولا يصح أن تكون فاعلا لتبين لأن اسم الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وله الصدارة.[25]

قوله تعالى: { أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك ءلايت أفلا يسمعون } الفعل لا يخلوا من فاعل فأين الفاعل ليهد تكلم النحاة في هذا قال الفراء كم في موضع رفع بيهد وهذا نقض لأصول النحويين في قولهم أن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولا في كم بوجه أعني ما قبلها ومذهب أبي العباس أن يهد يدل على الهدى فالمعنى أولم يهد لهم الهدى وقيل المعنى أولم يهد الله لهم وقال أبو إسحاق: كم في موضع نصب بأهلكنا.[26]

22 – البحر المحيط في التفسير –أبو حيان الأندلسي– ت– صدقي محمد جميل– دار الفكر بيروت– دون تاريخ– ج–1–ص– 78.[22]
23 – التبيان في إعراب القرآن –أبو البقاء العكبري– ت– محمد علي البجاوي– دون تاريخ– ج –2–ص–732.[23]
24 – البحر المحيط في التفسير –أبو حيان الأندلسي– ت– صدقي محمد جميل– دار الفكر بيروت– دون تاريخ– ج–6–ص– 274.[24]
25 – إعراب القرآن وبيانه– محي الدين بن أحمد مصطفى درويش– دار الإرشاد– سوريا– دون تاريخ– ط– الرابعة– ج–5–ص–206.[25]
26 – إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس– دارالكتب العلمية– بيروت– دون تاريخ– ج– 3– 204.[26]

خاتمة :

ونستخلص من خلال هذا العرض الموجز أن النحاة اختلفوا في جواز وقوع الجملة فاعلا من عدمه إلى ثلاثة مذاهب :

- مذهب مانع
- مذهب مجيز
- مذهب يجيز بشرط

كما نخلص إلى أن البعض من متأخري النحاة اكتفى بنقل الخلاف ولم يرجح مذهبا على مذهب وبعضهم كان مرجحا للمذهب القائل بالمنع ولم نر من رجح غير المذهب الأول إلا ابن هشام فقد رجح المذهب الأخير لكن بزيادة شرط آخر على الشرط الذي اشترطه الفراء.

كما نجد معظم المفسرين لا يحمل الآيت الواقعة في المسألة على الفاعلية وبعضهم يرد على من قال بإعراب على الفاعلية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس- دارالكتب العلمية- بيروت- دون تاريخ.
- إعراب القرآن وبيانه- محي الدين بن أحمد مصطفى درويش- دار الإرشاد- سوريا- دون تاريخ- ط- الرابعة.
- البحر المحيط في التفسير –أبو حيان الأندلسي- ت- صدقي محمد جميل- دار الفكر بيروت- دون تاريخ.
- التبيان في إعراب القرآن –أبو البقاء العكبري- ت- محمد علي البجاوي- دون تاريخ.
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل – أبو حيان الأندلسي – ت- حسن هنداوي – دار القلم- ط- الأولى- 1419هـ- 1998م.
- الأشباه والنظائر – جلال الدين السيوطي – دار الكتب العلمية- دون تاريخ.
- -النحو الوافي –عباس حسن- ط- الثالثة- دار المعارف –دون تاريخ.
- معاني القرآن - الفراء- ت: النجاتي/النجار/الشلبي- دون تاريخ.
- شرح التسهيل – محمد بن مالك – ت- عبد الرحمن السيد – محمد بدوي مختون – ط – الأولى – 1410 هـ - 1990 م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب – أبو حيان – ت – رجب عثمان محمد – ط – الأولى – 1418 هـ- 1998م-.